

(١)

## ابن الفوطي

المطبوع باسم الحوادث الجامعة لبس لابن الفوطي

### الكتاب المصنفي حواشي

١٢ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة الواقعة في المائة السابعة ، هكذا أسماه ابن رجب ، كما نقلنا من كتابه ذيل طبقات الخبابة سابقاً ، قال : « وذكر غير الذهبي أنه جمع الوفيات من سنة ستائة سماه الحوادث الجامعة والتجارب النافعة الواقعة في المائة السابعة وهذا هو الذي أشار اليه الذهبي » يعني قول الذهبي - وقد نقله قبلاً - : « وكتاب حوادث المائة السابعة والى أن مات » . وفي الحلق أن حصره بالمائة السابعة وقصره عليها يدفع قول الذهبي « والى أن مات » . والذي استمر عليه الى أن مات هو « التاريخ على الحوادث » كما ذكرنا من قبل .

وسماه مؤلف كشف الظنون « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » قال : « لجمال الدين عبدالرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي البغدادي المتوفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة » . وقال في مادة التاريخ : « تاريخ ابن الفوطي متعدد كالدليل على الجامع المختصر لشيخه ابن الساعي ، والحوادث الجامعة في الوفيات وجمع الآداب » وكرر ذكر الحوادث الجامعة في ثبت كتب التاريخ المجرد .

وقد وجدنا تاريخاً مخروم الأول مبدأً الباقي منه سنة ١٢٦ ، ومنتهاه سنة « سبعمائة » من الهجرة في خزانة كتب الأب أنستاس ماري الكرملي وهي خزانة الآباء النصاري الكرمليين

(١) نسخة المقالة المنشورة في هذه المجلة « مج ٩ ص ٤٣ - ١٦٤ » .

ببغداد التي أهدي أكثر مخطوطاتها العربية إلى المتحف العراقية المعروفة بالمتحف العراقي وهو مخطوط بخط عصري حديث تغلب عليه الزكاة ، ثم علمنا أن نسخة الأصل هي في خزانة كتب الأستاذ المحقق أحمد باشا تيمور - وكان إذا ذاك حياً - وأنه أمر بنسخ نسخة منه فأهداها إلى الأب أنستاس المذكور ، فانسخت لنفسه نسخة على المخطوطة التي في خزانة الآباء الكرمليين ، وكلمت أحد الكتبيين وهو نعيان الأعظمي المكتبي في أن ينفق على طبعه وأقوم على إخراجه مع تصحيحه والتعليق عليه ، فوافق على ذلك ، وكان الأستاذ الأديب أحمد حامد آل الصراف قد انتسخ لنفسه نسخة فأهدى إلى نسخته ، وإذ كانت نسختي قد علقت عليها وأضفت إليها في حواشها فوائد تاريخية قدمت نسخة الصراف للطبعة ، وكان ناسخها قد تخطى أسطراً من الكتاب لحاجة في صدره ، وحسبت أن النسخة المذكورة كاملة فلم أستوف المقابلة بين مخطوطتي والمطبوع فنقصت النسخة المطبوعة عدة جمل في آخر الكتاب ، وهي في الصفحة ٤٩٥ ونصها : « وألزم الناس بالقيجوز وزاد في قرار التفتات » وهي بعد قوله « ثم ضاعف الخراج كما فعل جل الدين الدستجرداني » .

وسقط من الصفحة ٤٩٤ قول المؤرخ : « وأمر بالزام أهل الذمة الغيار فألزموا بذلك مدة شهرين ثم أزيل » وهي بعد قوله : قوله : « وكان ببغداد فأحضر وقتل » .  
وسقط منها أيضاً قول المؤرخ : « فتخاذلوا عنه » وهي بعد قوله « فأرسل الأمير قتلغ شاه اليهم يتهددهم ويخوفهم عاقبة الأمر » .

وسقط من الصفحة ٤٩٣ قوله : « من التفاوت فزادت أدعيتهم » بعد قوله : « فتوفر عليهم شيء كثير » . وسقط منها قوله : « وكل من يتعلق به من نائب وغيره » وذلك بعد قوله : « بقتل إخوة نوروز وأهله وأصحابه » .

وسقط من الصفحة ٤٩٢ قوله : « وكانت الرعية تسير بينهم ومعهم الأشياء الجلوية للبيع فلا يأخذ أحد منهم شيئاً إلا ابتياعاً باللطف واللين ورأى الناس من العدل ما أوجب زيادة دعائهم لدوام دولته ، فلما دخل بغداد لم ينزل في دار إلا بأجرة وما أزعج أحد من منزله »

وذلك بعد قوله : « ولم يتعرض أحد من العسكر لأهل السواد بما جرت به العادة من رعي الزروع وغير ذلك » .

هذا وقد أجلنا الفكر وقلبنا الرأي وأعدنا تصفح هذا التاريخ مراراً فانتبهنا إلى استحالة أن يكون هو « الحوادث الجامعة » لابن الفوطي ، وابتدت الاستحالة على الأمور الآتية :

١ - أن خط ابن الفوطي الباقي المحفوظ في الجزء من الممشور عليها من كتابه « تلخيص معجم الألقاب » وفي الجزء الثاني من كامل ابن الأثير ، وكتاب الأحكام ، وغيرهن يخالف خط مؤلف كتاب « الحوادث » المذكور حتى المخالفة وكل من الكتاين ثبت أنه كتب بخط مؤلفه . والذي دل على أن كتاب التاريخ المذكور بخط المؤلف هو أنه الصق قصاصة ورق على كل خبر وجد خيراً منه فأحله مكانه .

٢ - خفاء ذاتية مؤلف كتاب « الحوادث » بحيث يمكننا عدّه جامعاً لمواده من التواريخ الأخرى سوى إشارات قليلة جداً ، يجوز أن يكون بها المؤلف معاصراً لقسم من الحوادث ، مع ظهور ذاتية ابن الفوطي في كتابه « تلخيص معجم الألقاب (٢) » فلم يكن إذن مانع من ظهورها في كتاب التاريخ لو كان هو مؤلفه .

٣ - اختلاف أسلوب المؤلفين في طريقة الاختصاص والنقل والأدلة على ذلك كثيرة جداً .

٤ - كون كتاب « الحوادث الجامعة » في الوفيات دون الحوادث كما جاء في ذيل طبقات الحنابلة وكشف الظنون ، مع أن كتاب « الحوادث » المطبوع يتوخى الحوادث قبل الوفيات .

٥ - ذكر مؤلف الحوادث مؤرخين اثنين من أساتذة ابن الفوطي ونقله من تواريخها

(١) الحوادث « ص ٢٥٢ ، ٢٥٨ » .

(٢) كقوله : « قلت ورأيت وصمت وصديقتا ورفقتنا وشيختنا أو المحسن البنا ومولانا وحدثنا وروى

لنا وأخبرنا وحكي لنا وكتب البنا وأجاز لنا وما أشبه ذلك » .

كأنهما غريبان عنه وبعيدان عن عصره وهما تاج الدين أبو طالب علي بن الحجب ابن الساعي وظهر الدين علي بن محمد الكازروني ، مع ان ابن القوطي يصرح بأسمائهما دائماً في كتبه ، كما نرى في كتاب تلخيص معجم الألقاب .

٦ — عدم العاطفة الدينية الاسلامية على فاجعة المسلمين في كتاب « الحوادث » فهو لم يذكر كلمة « شهادة » ولا كلمة « استشهاد » في حادثة استيلاء هولاء كوفي بغداد سنة ٦٥٦ فما استحق منه كلمة ( الشهادة ) الخليفة المستعصم بالله ولا ابناه أحمد وعبد الرحمن ولا الأمراء ولا العلماء ولا الأبطال ولا النساء ، وكذلك من قتل بعدهم بسيف المغول ، مع أن ابن القوطي مع عيشه بين المغول مدة وخدمته لهم يذكر شهداء تلك الواقعة العظيمة ، والمجزرة البشرية الشنيعة ، بكلمة الشهادة أو الاستشهاد ، وذلك أمر ذو بال .

٧ — نقل مؤلف الحوادث عن جماعة لم ينقل عنهم ابن القوطي ، فقد قال في حوادث سنة ٦٧٣ : « وفيها مات العلم [ أي علم الدين ] الشرمساحي أخو سراج الدين ، المالكي وهو مدرس المالكية بالاستنصرية ، قال ابن البديع <sup>(١)</sup> . وفيه يقول شيخنا <sup>(٢)</sup> :

علم الخنا لا الدين رأسك لتعلم	وليس لغير العمل رأسك بالأهل
نشرت بتدريس ولا نخر لامرئ	بمنصبه إن كان يخلواً من الفضل
وما منصب التدريس إلا غضاضة	إذا ما احتبي فيه نظيرك للجهل
يصيب ولا يدري ويخطي وما درى	كما جاء في تفضيل ذي المنطق الفصل

(١) جاء في تلخيص معجم الألقاب « عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جعفر ، يعرف بابن البديع ، البغدادي الفقيه المجلد ، نسكبرني الأصل ، كان من فقهاء السننصرية من الطائفة الخنفية وسمع المشايخ وقرأ عليهم واستفاد منهم وكان أوجد في صناعة التجليد ولذلك كان لا يفارق دار الخلافة ، وقرأ على الشيخ رضي الدين الحسين بن محمد الصفاني ، وعلى صاحب محي الدين استاذ المدارس ابن الجوزي وسمع فاضي للقضاة عماد الدين أبا صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد التادر ، وكان يتردد إليه ويحتم به ، ورأيت كثيراً ، وكأنه كتب لي في الاجازة ، وقتل في الواقعة سنة ست وخمسين [ وستمائة ] ، التلخيص ج ٤ ص ٩٦ من نسختي الأولى بخطي « قلعه هو المذكور في الخبر .

(٢) قدم مؤلف الحوادث ذكر شبيهه على ما جاء في الصفحة ٣٨٢ وهو ابن نجاد .

ولو لا سراج الدين قلت مقالة يسيرها الركبان في الحزن والسهل

وكان أخوه سراج الدين صديقاً لشيخنا - رحمه الله تعالى - (١) .

وقال ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب : « علم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ابن عمر الثرمساحي المصري المدرس ، قدم بغداد في خدمة أخيه سراج الدين الى تدريس المتنصرية ، وكانت وفاته سنة ثلاث وسبعين وستمائة ودفن عند أخيه (٢) » .

٨ - نقل مؤلف الحوادث أخباراً عن غيره أو من كتب التاريخ خاصة بسنين ، كان ابن الفوطي قد سمع بعضها عن كتب وشهد بعضاً ، بحيث لا يحتاج إلى مؤرخ ينقلها عنه ، كقتل نحر الدين مظفر بن الطراح بدار النيابة ببغداد سنة ٦٩٤ ، وقد ذكر مؤلف الحوادث ما نصه « وآخر ما قاله | مظفر بن الطراح | وهو في السجن بدار النيابة ببغداد قبل قتله بأيام ، ووجدت بخطه :

القول فيما مضى من عمرنا هدر فدعه واصبر لما يأتي به القدر (٣) »

٩ - ذكر مؤلف الحوادث قولي فضل وإحسان وشيوخاً وأصحاباً وأصدقاء وزملاء في العمل لابن الفوطي ، ولم يذكر في سيرهم أن له (أي للمؤلف) صلة بهم كأئمة ما كانت ، وقد ذكرنا منهم ابن الساعي والسكراروني وتذكر منهم الخواجه نصير الدين الطوسي ، وكان له الفضل الأعظم على ابن الفوطي في السعي نيل خلاصه من الأسر وتعليمه وترتيبه في خزنة كتب الرصد ، وكذلك كان أبنائه الثلاثة له ، ومؤلف « الحوادث » يذكر من يذكر منهم وكأنهم من رجال التاريخ حسب ، ولا صلة له بهم ، فقرأ قوله في حوادث سنة ٦٥٨ قوله : « وفيها وضع نصير الدين الطوسي الرصد بمراغة وعين فيه جماعة يتولون عمله الى أن انتجز سنة الثنتين وسبعين | وستمائة | (٤) » . وقوله فيها : « حكي أن السلطان لما كان بوظة حران وقف له جمع من الفقهاء القلندرية فقال لنصير الدين الطوسي (٥) ... » وقوله في

(١) كتاب الحوادث « ص ٣٨٢ » .

(٢) التلخيص « ٤ : ٢٥٤ من نسختي الأولى بخطي .

(٣) الحوادث « ص ٤٨٥ » .

(٤) الحوادث « ص ٣٤١ » . (٥) المذكور « ص ٣٤٣ » .

حوادث سنة ٦٦١ « خيمة بها صاحب الديوان علاء الدين وخواجه نصير الدين الطوسي <sup>(١)</sup> ... » . وقال في حوادث سنة ٦٦٨ : « قيل إن خواجه نصير الدين الطوسي اجتمع <sup>(٢)</sup> ... » . وفي حوادث سنة ٦٧٢ : « فيها وصل السلطان أباقا خان الى بغداد وفي خدمته الأمراء والعساكر وخواجه نصير الدين الطوسي ... وأما خواجه نصير الدين الطوسي فانه أقام ببغداد وتصفح أحوال الوقوف وأدر أخبار الفقهاء والمدرسين والصوفية وأطلق المشاهرات وقرر القواعد في الوقف وأصلحها بعد اختلالها <sup>(٣)</sup> » ثم قال في حوادثها : « وتوفي ... خواجه نصير الدين أبو جعفر محمد بن الطوسي في ثامن عشر ذي الحجة ودفن في مشهد موسى بن جعفر <sup>(٤)</sup> ... » . وذكره في غير المواضع التي ذكرناها ، ولم يصحب ذكره لفظاً من الفاظ الاحترام والتعظيم أو الأستاذية وما يجري مجراها . مع أن ابن الفوطي لا يجرد اسمه من « السعيد » أو « للمولى » أو غير ذلك كمولانا <sup>(٥)</sup> .

وذكر مؤلف الحوادث في وفيات سنة ٦٧٢ أيضاً علماً بمن عرفهم ابن الفوطي قال : « وفيها توفي الشيخ كمال الدين علي بن وضاح الشهرستاني الحنبلي مدرس الجاهدية . ودفن تحت أقدام الامام أحمد بن حنبل - رحمهما الله - وكان شيخاً صالحاً زاهداً ورعاً عارفاً بالمذهب والأحاديث النبوية وله تصانيف كثيرة ، كان مولده سنة تسعين وخمسة <sup>(٦)</sup> » . وذكره ابن الفوطي قال : « كمال الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن وضاح الشهرستاني ثم البغدادي الفقيه المحدث للمدرس ، ذكره شيخنا ظهير الدين علي بن محمد بن الكازروني في تاريخه وقال : كان شيخاً منور الوجه ، كيساً طيباً الاخلاق ، عارفاً بمذهب الامام أحمد ، وبالأحاديث النبوية <sup>(٧)</sup> ... كان مولده في رجب سنة تسعين وخمسة ، وتوفي

(١) المذكور « ص ٣٥١ » . (٢) المذكور « ص ٣٦٥ » .

(٣) المذكور « ص ٤٧٧ » . (٤) المذكور « ص ٣٨٠ » .

(٥) قال في ترجمة عماد الدين الايجري : « ولما توجه مولانا السعيد نصير الدين الى بغداد » .

(٦) المذكور « ص ٣١٦ » .

(٧) قال : « ومن تصانيفه الدليل الواضح الى اقتضاء نهج نطق الصالح ، وكتاب الرد على أهل الاتحاد وكتاب مدح العلماء ، وذي الحسنة » .

يوم الجمعة ثالث صفر سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، اجتمع له عالم لا يحصى وشدة تآبوتيه بالحبال وحمل على الأنامل الى مقبرة الامام أحمد ودفن تجاه قبره ، قلت : ولي منه إجازة ، وكان صديق والذي وقد رأيت قبيل الواقعة وترددت اليه في خدمة والذي - رح - وكتب الكثير بخطه الرائع من الكتب المطولة والمختصرة (١) . فهل من حاجة لبيان البون البعيد بين الترجميتين وهو واضح مبين ؟ فان ذاتية ابن الفوطي ظاهرة في ترجمته لابن وضاح وذاتية مؤلف النحوادث خافية ، وكذلك القول في ذكر ابن الفوطي لعلماد الدين الحسن بن محمد الأبهري المعروف بالزمهرير (٢) ، قال : « عماد الدين أبو علي الحسن بن محمد بن الأبهري يعرف بالزمهرير شيخ رباط الخلاطية ، كان ببغداد لما وقعت الواقعة ، وجرى ما جرى وحصل في جملة الأسرى من أصحاب أوبلجاي خاتون ، وأقام عندهم مدينة وقرر في أذهانهم أنه من أولاد المشايخ والصوفية ولما توجه مولانا نصير الدين الى بغداد تشفع وتضرع الى الخاتون وأصحابها في أن توليه مشيخة رباط الخلاطية ، فسألت نصير الدين ذلك فكتب بما أراه ونزل في خدمته سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ورتب شيخاً بالرباط وكتب له الترخا فكان يعلقها فوق رأسه إذا جلس فوق سجادته ، وكان يارد اللهجة فسمي الزمهرير ، ولم يتم أمره ، وعاد الرباط الى شيخه شيخنا شمس الدين اليزدي والحمد لله ، وتوفي الزمهرير سنة ثمان [ وسبعين وستمائة (٣) ] وسألته [ عن مولده فقال ... ] . »

ثم ترجمه ابن الفوطي باسم « محمد بن الحسن » قال : « عماد الدين محمد بن الحسن بن أحمد الأبهري ، يعرف بالزمهرير ، شيخ رباط الخلاطية ، قدم ببغداد في صحبتته مولانا نصير الدين أبي جعفر الطوسي وأحضر فرماناً من بعض الخواتين بتوليته رباط الخلاطية ، فلم يجد بداً من ذلك ورتبه شيخاً بالخلاطية سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، وكان يلقب بالزمهرير ، وعزل الشيخ شمس الدين محمد بن سعد اليزدي ، واتفق بعد ذلك أن رتب الشيخ

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج » الترجمة ٤٦١ من السكاف .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٩٩ ، ١١٩ » .

(٣) قدرت وعنه بذلك من قول المؤرخ « ولم يتم أمره » .

محيي الدين عبد القاهر بن السهروردي في مشيخة الخلاطية وحضره الأئمة والأكابر ، فقرأ  
الامام تاج الدين حسين إمام الحنابلة : لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً (١) .

فتأمل اضطراب كتابة ابن القوطي ونسيانه أنه قد ترجم الرجل قبلاً باسم « الحسن  
بن محمد » وأن شمس الدين بن اليزدي تولى الرباط ثانية قبل محيي الدين بن السهروردي ،  
ودونك ما قال مؤلف كتاب « الحوادث » في أخبار سنة ٦٧٢ :

« وفيها حضر عماد الدين محمد بن حسن الأبهري المعروف بالزمهري ، تقدم بعض  
الخوانين (٢) إلى خواجه نصير الدين الطوسي (٣) بمشيخة رباط الخلاطية ، فرتبه عوضاً عن  
شمس الدين بن اليزدي ، وكان شيخاً لم يخالط الصوفية ، ولا عرف قواعدهم ولا تأدب  
بآدابهم ، وكان الناس يولعون به فقال له يوماً شمس الدين الكوفي الواعظ : أنت وأنا  
لا نرى في الجنة . فتأثر لذلك واغتاض منه فقال له إن الله تعالى يقول : لا يرون فيها شمساً  
ولا زمهرياً . ولم يزل شيخاً بالرباط الى سنة سبع وسبعين [ وستائة ] ثم سافر وأعيد ابن  
اليزدي الى الرباط (٤) . »

هذا آخر ما أردنا نشره من ترجمة ابن القوطي ، وقد نشرنا موجز ترجمته في أول  
ما بقي من الجزء الرابع من كتابه البارع « تلخيص مجمع الآداب » وهو الذي حققناه  
لوزارة الثقافة والإرشاد في الجمهورية العربية السورية ونشرته بنفقاتها للعالم العربي في  
أربعة أقسام والله تعالى الموفق للصواب .

مصطفى جواد

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ١١٩ » .

(٢) في الخواص ع - ص ٣٨١ - « الخواص » بدلاً من « الخواتين » وهو من غلط الطبع .

(٣) قابل هذا القول بقول ابن القوطي « ولما توجه مولانا السيد نصير الدين » وقوله « قدم بغداد

في صحبة مولانا نصير الدين أبي جعفر الطوسي » ، لتعلم ما ذكرناه من اختلاف المؤلفين عملاً يقينياً .

(٤) الحوادث « من ٣٨٩ » .